المادة: الترجمة

المحاضرة رقم 1

المرحلة: الرابع المسائي

عنوان المحاضرة: **لمحة سريعة عن تاريخ الترجمة**

في المحاضرات الاولى لمادة الترجمة نقدم للطلبة مختصر لنظرية الترجمة وتشمل لمحة سريعة عن الترجمة و عناصرها و ماهيتها و العلاقة بين الشكل و المعنى ومراحل الترجمة و انواع النصوص

لمحة سريعة عن تاريخ الترجمة/ المصدر: الترجمان المحترف من الفرنسية للعربية-

يرجى متابعة القراءة في الصفحات التالية

لمحة سريعة عن تاريخ الترجمة

1 ـ الترجمة في الغرب:

الترجمة كصنعة هي دليل قاطع على إرتقاء الدول وخروجها من مرحلة الكرّ والفرّ في محاولة إلى التقاط لقمة العيش الهاربة. هي دليل على استقرار اقتصادي واجتماعي يدفع بهذه البلدان إلى النظر نحو جاراتها القراب والبعاد من الناطقات بألسنة بعيدة كل البعد عن لسانها.

في بادىء الأمر كانت الترجمة سبيلاً إلى إيصال الرسالة السماوية إلى عامة الشعب فقد كتبت الأناجيل والتوراة بلغات قديمة متعددة كاللاتينية واليونانية وحاول بعض المترجمين وفي طليعتهم القديس هيرونيموس St Gerôme الذي حاول تبسيط الأناجيل «Vulgariser» كي يتوصل إلى صورة تستسيغها العامة وتفهمها ليتوصل بذلك إلى تطبيق أفضل للديانة المسيحيَّة. وبفضل عملية التبسيط أو «Vulgarisation» اتسعت دائرة المومنين لأن لغة التواصل أصبحت أسهل وأبسط. ومن هنا ومع امتداد التاريخ أصبح المترجم، وإن توصل إلى ترجمة حسنة، إلى المساهمة في إثراء اللغة المترجم إليها وفي بعض الحالات التي سنراها الآن ساهم بعض المترجمين في ولادة اللغات القومية ومن بينها الفرنسية، الإنكليزية السويديّة الألمانية والعبرية وغيرها من اللغات.

في هذه الأمثلة التي سوف نتناولها لن تظهر الترجمة كأية ظاهرة منفصلة مهمشة فهي تنخرط في مسار وطني أيديولوجي أو ديني بعيد المدى يساندها أصحاب القرار والمنتمون إلى الطبقات الأرستقراطية.

أما في إنكلترا فسوف نرى أن العوامل الخارجيّة زكّت الرغبة في الحصول على لغة إنكليزية بحتة وفي فرنسا ساعد تأثير بعد الملوك ونفوذهم على استيراد أعظم الكتابات وترجمتها وغالباً ما كان السبب في ذلك تعزيز اللغة المحليّة وتوسيع دائرة استعمالها. وفي السويد تزامنت ولادة اللغة مع نصرنة البلاد ففي نهاية القرون الوسطى كان دير Vadstena أَو «مهد الترجمة» مركزاً جرت فيه أعظم الترجمات التي نتجت عنها الصيغة المكتوبة للغة السويدية الحديثة ومن هنا تابع المترجمون، ممن ساهموا في ترجمة الإنجيل، بنشر اللغة في كل حدب وصوب. وفي ألمانيا كذلك ساهمت ترجمة الكتب السماوية في ولادة اللغة الألمانية النموذجيّة. وهنا لا بد من أن نتوقف عند المساهمة الكبرى التي أتى بها مارتن لوثر في مجال اللغة الأدبية الألمانية وولادتها تحديداً.

من هنا نرى أن الترجمة لا تقتصر على عملية نقل من لسان إِلى لسان آخر بل هي عملية إغناء للغة المنقول إليها. إذ يسكب المترجم من ذاته في «النَّصّ والهدف» فهي بذلك عملية نقل تمر إثرها بذات المترجم.

ولم تكن الترجمة في عالمنا العربي أقل شأناً مما كانت عليه في الغرب ولو أنها تنبع من إحساس بالاستقرار كما هي الحال في الغرب إضافة إِلى أنها تحتاج دائماً إِلى دعم سلطة عليا آمرة ناهية. وليس بعيداً عن ذهننا ـ نحن العرب ـ الدور الذي لعبته الترجمة في الإعداد لعصر النهضة الإِسلامية الكبرى التي حمل العرب ومن تثقَّف ثقافتهم واعتنق دينهم وتكلَّم لغتهم خلالها بكل جدارة ألوية العلم ومشاعل المعرفة وطوَّروا التراث الفكري للإنسانية جمعاء.

لقد ساهم الخليفة العباسي المأمون (عبد الله بن هارون الرشيد) 170 ـ 318هـ (786 ـ 833م) بنفسه في تنشيط حركة الترجمة خلال العقد الأوّل من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي حيث أرسل العديد من علمائه ومترجميه وعلى رأسهم الحجاج بن مطر وابن البطريق إِلى بلاد الروم لجمع المؤلَّفات والمخطوطات الأجنبيّة وترجمتها إِلى اللغة العربية التي كانت خلال فترة ازدهار

الحضارة العربية تحت ظل العباسيّين في العراق واحدة من خمس لغات عالمية لا يستطيع العالم أَو الباحث مهما كانت لغته الاستغناء عن تعلّمها.

وتتحدَّث كتب التراث عن سخاء المأمون مع المترجمين وخاصة مع حنين بن إسحق العبادي، شيخ المترجمين الذي كان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إِلى العربيَّة مثل بمثل ويتحدَّث جرجي زيدان في كتابه القيِّم (تاريخ التمدن الإِسلامي الجزء الثالث) عن الدور الكبير الذي لعبه المأمون في تنشيط حركة الترجمة والتأليف في بغداد في معاهدها العلمية المختلفة وعلى رأسها بيت الحكمة.

لقد تخصص في الترجمة في عهد المأمون وفي العهود اللاحقة لعهده عدد كبير من الأفراد وعرفت عوائل كاملة باحترافها الترجمة مهنة يتوارثها الأبناء عن الآباء ومن أشهر هذه العوائل: آل بختيشوع التي قام ستة من أفرادها بالترجمة والتأليف بالطب، وآل حنين وأولهم حنين بن إسحق العبادي إذ كان صاحب مدرسة متميزة في الترجمة فقد كان يترجم المعاني من دون التقيد بالألفاظ على عكس المترجم الشهير الآخر يحيى أَو يوحنا بن البطريق الذي كان يتقيد تقيداً تاماً بالألفاظ وبهذا يعد صاحب المدرسة الحرفية في الترجمة.

إضافة إِلى هؤلاء برزت في الترجمة أسماء لامعة مثل آل الكرخي وآل ثابت والجوهري والحجاج بن مطر وابن ناعمة الحمصي وموسى بن خالد وابن المقفع.

لقد جعل هؤلاء المترجمون من اللغة العربية بوتقة صهروا بها ثقافات وعلوم الأقدمين وأثبتوا قدرة اللغة العربية على استيعاب مختلف العلوم والتعبير عنها بدقة متناهية لما تميزت به من طواعية مدهشة في التعريف وقدرة كبيرة على النحت والاشتقاق وثروة هائلة في الاستعمالات المجازية والمفردات.

لقد استوعبت اللغة العربية علوم الأقدمين وفلسفتهم وأمدَّتها بإضافات أصليّة مبدعة في ميادين الطب والصيدلة والكيمياء والنبات والحيوانات

والرياضيات والفلك والفلسفة وظلت تحمل لواء المعرفة الإنسانية لخمسة قرون حتى إذا ما بدأ عصر النهضة الأوروبية أقبل الأوروبيون على العربية يترجمون منها إلى لغاتهم ما ترجم من لغات الأقدمين إليها وما وضع أصلاً فيها من تلك العلوم.

وإن كان القرنان الثالث والرابع الهجريان (التاسع والعاشر الميلاديان) قرني ترجمة علوم الإغريق والفرس والهنود إلى العربية فإن القرون الخامس والسادس والسابع الهجرية (الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي) كانت قرون عطاء العرب إلى أوروبا.

لقد نقلت أوروبا عن العرب كتباً في الفلسفة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي كما نقلت فروعاً من التراث العربي في الآداب والفنون والموسيقى والجغرافيا. خاصة رسم الخرائط والملاحة وكان الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن طفيل وجابر بن حيّان والخوارزمي من ألمع الأسماء العربية التي سيطرت على الفكر الأوروبي لقرون عديدة. واليوم وطننا العربي يمر في فترة صحو بعد رقاد دام لستة قرون يعود للترجمة دورها في الإسهام في عمليات الترجمة.

ولا تزال الترجمة حتى يومنا هذا ذات مكانة غاية في الأهمية إذ أن الاختراعات والاكتشافات لا تنفك تتضافر من كل حدب وصوب حتى وصلنا إلى وتيرة شبه يومية منها. ولمواكبة الواقع الحالي وبزحف العولمة نرى اليوم أمامنا حواجز ثقافية وعلمية لا بد من تخطيها والسبيل الأول والأداة الأمثل هي الترجمة.

ومن الجدير بالذكر أن مفهوم الترجمة وإحاطتها بهالة العلم لم ير النور إلاّ في العام 1979 الذي شهد ولادة مفهوم «الترجمة»(*) وذلك على يد جان

(*) Ladmiral, Jean-René, Traduire: Théorème pour la Traduction Gallimard, Paris 2eme édition, 1994, 202 pages 145 × 19 cm.

رينيه لادميرال بصورة خاصة الذي فادى بها علماً مستقلاً. والجدير بالذكر أنَّها كانت تعتبر قبلاً علماً متفرعاً من الألسنية بحجة أن هذا الأخير يمدها بمنهجية ومصطلحات تعينها على التنظير في الحقائق اللغوية المتجلّية في الترجمة فعرفت إذ ذاك بـ «الألسنية التطبيقيّة». غير أنّ لا بد لمن شاء البحث في الترجمة أن يستعين بالعلوم الإنسانية كافة من تلك التي تعنى بطريقة عمل الدماغ إلى عالمي اللاهوت والفلسفة مروراً بالعلوم الاجتماعية العرقية. من هنا تظهر أهمية تخطي الترجمة حيّز الألسنية الضيّق وانفتاحها على ميادين العلوم الأخرى لا سيما وأن الألسنية نفسها اتسعت لتشتمل علم الدلالات فذابت في بحر علوم اللغة في ذلك شأن الترجمة.